مجلة جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

العدد العاشر
جمادى الآخرة ١٤١٤هـ

ابن تيمية محدثا

الدكتور/ أحمد بن محمد العليمي
الأستاذ المشارك بجامعة الإمارات العربية المتحدة
مدير مركز الانتساب الموجه - رأس الخيمة

الحمد لله وحده لاشريك له لا نحصى ثناء عليه سبحانه وتعالى . .

والصلاة والسلام على رسوله الامين . . محمد صلى الله عليه وسلم وبعد .

لقد تميّز الإمام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ بعدة مميزات في جانب العلم والعمل . . فكان مبّرزاً فيهما، فهو العالم الموسوعى المجتهد، والعامل المجاهد الصابر الداعية .

وقد تناول الباحثون تلك الجوانب بالدراسة والتوضيح وقد أردت أن أبينّ جانباً في علمه ومنهجيته، وهو المتعلق باشتغاله بعلم الحديث ومصطلحه وروايته، وخاصة وقد قال فيه الذهبي : « . . . وبرع في الحديث وحفظه، فقلّ من يحفظ ما يحفظ من الحديث، معزوّا إلى أصوله وصحابته، مع شدّة استحضارٍ له وقت إقامة الدليل» .

بين يديك مجموعة من الإشارات والايماءات تُبرز جهداً ضخماً ومعرفة تامة، وممارسة فريدة عند ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في إطار من الموسوعية التي تميّز بها، والاستقلالية الفكرية التي سلكها ـ رحمه الله ـ .

اسمـــه :

هو أحمد تقي الدين عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية.

كنيته ونسبه :

لقد اكتنى بأبي العباس في مطلع حياته، ولكنه اشتهر بنسبته ـ ابن تيمية ـ فلا تكاد تطلق تلك النسبة حتى تنصرف إليه دون سواه من آبائه وقومه. لقد غلب لقبه النسبي على كنايته، بل على اسمه، وبذلك عرف بين الناس.

ـ أما نسبته إلى تيمية فقيل فيه[1]

١) إن جدّه حجّ وله امرأة حامل ومر في طريقه على درب تيماء فرأى هناك جارية طفلة قد خرجت من خبائها. فلما رجع إلى ـ حران ـ وجد امرأته قد ولدت بنتا، فلما رآها قال: ياتيمية ياتيمية، فلقب بذلك.

٢) وقيل إن جدّه محمدا هذا كانت أمه تسمى تيمية، وكات إمرأة واعظة فنسب إليه وعرف هو والأسرة بها.

«ولم يذكر المؤرخون اسم قبيلته، بل ينسبونه إلى حران وينسبه البعض إلى قبيلة نمير»[2]

أسـرته :

لقد ولد أحمد تقي الدين بن تيمية في أسرة علم، توارثت ذلك واستمرت عليه.

كانت أسرة حنبلية المذهب، سلفية العقيدة، اشتغل رجال تلك الأسرة بالعلم والدعوة، فكثرت مؤلفاتهم وانتشرت اجتهاداتهم وعمّت فتاويهم، يستندون إلى فهم النصوص ودراية الأدلة، وقبول الراجح من الأقوال المدعوم بالدليل.

بين يديك صورة لذلك.

---

(١) وفيات الأعيان ترجمة رقم (٦٢٦) وجلاء العينين ٤ ـ ٥ ـ الشهادة الزكية/ ٢٤ وغيرها.

(٢) انظر مقدمة بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ١/ ٣٥ ـ شذرات الذهب ٥/ ١٠٢ ـ ١٠٣.

ـ جد ابن تيمية «مجد الدين» :

قال الذهبي : هو الشيخ العلامة فقيه العمر شيخ الحنابلة مجد الدين أبوالبركات عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد على الحراني ابن تيمية . ولد سنة (٥٩٠هـ) تقريبا (١١٩٤م) .

ثم ذكر مشائخه وتلاميذه .

ثـم قـال :

«وتفقـه ، وبرع ، واشتغل ، وصنف التصانيف ، وانتهت إليه الامانة في اللقاء ، وكان يدرى القراءات ، وألّف فيها أرجوزة»[٣]

ـ قال الذهبي :

سمعت الشيخ تقي الدين أبا العباس يقول :

كان الشيخ جمال الدين بن مالك يقول :

«ألين للشيخ المجد الفقه كما ألين لداود الحديد» .

مؤلفــاته :

المنتقى ـ وشرحه الشوكاني في نيل الأوطار ومنتهى الغاية في شرح الهداية .

وفاتـــه :

توفى بحران يوم الفطر سنة (٦٥٢هـ) .

والد ابن تيمية :

«شهاب الدين عبدالحليم بن الشيخ مجد الدين» .

قال عنه ابن كثير[٤] :

«كان عالماً محدثاً ، فقيهاً حنبلياً ، صاحب تدريس وافتاء ، قام بالتدريس في الجامع الأموي» .

---

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٩١ ـ ٢٩٣ ـ شذرات الذهب ٥/٢٥٧ ـ طبقات القراء ١/٣٨٦ .

(٤) البداية ١٣/٣٠٣ ـ مختصر طبقات الحنابلة/ ٥٢ ـ الدارس في أخبار المدارس ١/٧٤ ـ ٧٥ .

وولي مشيخة دار الحديث السكرية بالقصاعين وبها سكنه.

ولد بحران سنة (٦٢٧هـ).

وتوفي سنة (٦٨٢هـ) بدمشق، ودفن في مقابر الصوفية.

أخوه شرف الدين عبدالله بن عبدالحليم، اشتغل بالعلوم وكان زاهداً عابداً ورعاً.

زوجة جدّه ـ المكناة بأم البدر، كانت من رواة الحديث[٥]

ولادته زمانا ومكانا:

ولد تقي الدين يوم الاثنين (١٠) من شهر ربيع الأول سنة (٦٦١هـ) الموافق ٢٢ يناير ١٢٦٣م.

وكان مولده في حران ـ جنوب الرها ـ من أعمال الشام.

انتقاله مع أسرته إلى دمشق:

انتقل مع أسرته إلى دمشق حوالي (٦٦٨هـ) وعمره سبع سنوات، وقيل سنة (٦٦٧هـ)[٦].

وكان سبب انتقالهم مهاجمة التتار لبلدتهم حران.

ومما لا شك فيه أن هذا الانتقال المبكر لابن تيمية قد فتح عينيه على آفاق من المعرفة، والتعلم.

العصر الذي عاش فيه:

لقد عاش ابن تيمية في عصر متميز بأحداثه، قد أثّر في نشوئه وطريقة اسهامه ومشاركته في أحداث ذلك العصر (٦٦١ ـ ٧٢٨هـ).

أبرز معالم ذلك العصر ما يأتي:

١ ـ غزو التتر لبلاد المسلمين واجتياحهم بغداد، وما خلفه ذلك من أثر على مناحي الحياة، وما قام به ابن تيمية من مشاركة وصل مداها إلى دخوله القتال ومحاربته

---

(٥) أصول الفقه وابن تيمية ١/٦٧ ـ الكواكب الدرية/ ٢٠١.

(٦) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٧ ـ شذرات الذهب ٦/٨٠. حياة شيخ الإسلام ابن تيمية/٢٠.

مع جيوش المسلمين، وتثبيت الناس ودعوتهم للبذل والعطاء، مع يقين صادق بأن الله ناصرهم ومؤيدهم على أعدائهم.

٢ ـ الصراع الرهيب بين المسلمين والصليبيين ونتائج ذلك.

٣ ـ تعدد الولاة والحكام في الزمن الذي عاش فيه ابن تيمية مما كان يحدث مداً أو جزراً في الحياة السياسية وقوة المسلمين.

٤ ـ كان المجتمع الذي عاش فيه ابن تيمية يموج بأجناس عديدة ـ التتار، الباطنية، النصارى ـ وبطبقات توزعت الأداء الاجتماعي ـ طبقة الحكام ، العلماء والفقهاء والقضاة، الطبقة العامة ـ حيث حظيت الطبقة الأخيرة بجل اهتمامه وتوجيهه مع العناية بها تدريساً ووعظاً وإرشاداً.

٥ ـ اتسم هذا العصر بنشوء المدارس العلمية، وبزوغ الأئمة الأعلام أصحاب الكفاءات العلمية، حيث ظهرت . مؤلفاتهم، إلا أن التعصب المذهبي أخذ مداه فأصبح في قوالب من حديد لا تعرف المرونة ولا التسامح ، وأقفل باب الاجتهاد، كما ظهرت بدع الصوفية ، وتأويلات المتكلمين وفلسفتهم، وأصبح شأنهم عالياً وظاهراً وبارزاً[٧].

يقول أبو زهرة:

«اتسمت الدراسات العلمية في عهد ابن تيمية بالتحيز الفكري، والتعصب المذهبي فكل رأي في العقيدة له إمام من المتقدمين، يتبعه بعض المتأخرين، وينظر إلى آرائه كلها على أنها الحق الذي لا شك فيه، وعلى أن آراء غيره الباطل الذي لا شك فيه، وكل مذهب فقهي له أتباع يتبعونه على أنه صواب وغيره خطأ[٨]».

إن هذا العصر كان عصراً مجيداً، أخرج في فورة الصراع والوقوف في وجه الشرِّ أئمة جهابذة، وعلماء مجددين لهذا الدين، كان على رأسهم الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٧) ملخصاً عن أحداث عصره الواردة ضمن أحداث التاريخ وانظر كتاب شيخ الإسلام ـ أحمد القطان ومحمد الزين ـ ١١ ـ ١ وكتاب رجال الفكر والدعوة ـ ١٧ ـ ٢٦.

(٨) ابن تيمية لأبي زهرة ١٥٥ وهو يقصد العصر لابن تيمية نفسه.

ثناء العلماء عليه:

ثناء العلماء والائمة عليه لا يحصى، بل قد أفرد بعضهم كتباً تبين فضله، وتذكر أثره. لقد امتلأ بذكره الآفاق، وحاز على ثناء الثقات من الأئمة مما لا يحتاج إلى بيان أو توضيح، وإذا كان لابد من ذكر في هذه العجالة لشيىء، فالاختصار مطلوب، إلّا أنه لابد من بيان لمسألة الثناء والقدح الذي توجه لهذه الشخصية، وذلك كما ذكره الاستاذ أبو الحسن الندوى فقال[9].

«ينشأ هنا سؤال في نفس كل إنسان سليم الطبع، وهو أن ابن تيمية على رغم تبوئه هذا المنصب العالي للعلم والدين، وتحلّيه بالفضائل الفكرية والتديّن والاخلاص إلى حدّ الابداع والتفرّد، لماذا خولف وعورض هذه المعارضة الشديدة من قبل معاصريه، وبعض المتأخّرين من العلماء؟ ولماذا ظلت شخصيته موضع بحث وانتقاد، منذ ذلك العهد إلى يومنا هذا؟.. ولماذا لم يتفق الناس على عظمة هذا الإنسان الجامع للفضائل والكمال؟.. إن هذا السؤال حق ويجدر بأن نردّ عليه في وضوح وصراحة في ضوء سيرته وتاريخه».

ثم يرجع الأمر إلى عدة أسباب.. ألخّصها في عناوين:

١ - اختلاف الناس في شخصيته وصراعهم في تحديد مكانتها، دليل على عظمة تلك الشخصية، وهو دليل على مبادىء العظمة، وشرط من شروط العبقرية عند علماء النفس والمجتمع.

٢ - علو مستواه الفكري والعلمي عن الجيل الذي نشأ فيه، فالمعاصرون له لا يسايرون طراوة فكره، وعلو نظره، وقوّة اجتهاده، ولا يستطيعون أن يتوصّلوا إلى آفاق علمه وفكره الغالية، لذا نشأ الصراع لأنهم لم يرتقوا إلى مستواه.

٣ - قال عنه الذهبي: «غير أنّه يغترف من بحر، وغيره من الأئمة يغترفون من السواقي».

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالناس أعداء له وخصوم[10]

والحسد بضاعة بعض العلماء.

(٩) رجال الفكر والدعوة / ١١٥ - ١٢٧ - ملخصاً

(١٠) الكواكب الدرية / ١٤٥.

٤ ـ حدة طبع عند ابن تيمية: قال الذهبي:

«تعتريه حدة في البحث، وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفس، ولولا ذلك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلومه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير»(١١)

وهذه الحدة مع الخصم إذا كان معانداً مكابراً للحق، فهي لله، وفي ذات الله، وقد كان صلى الله عليه وسلم يغضب إذا انتهكت محارم الله.

٥ ـ خالف أسلوب الأشعرية في تأويل الصفات، وبيّن مذاهب الصحابة والتابعين والعلماء الأعلام في مسألة الصفات. قلت: ولعل هذه وحدها تكفي في سبب نقده والحمل عليه إلى يومنا هذا.

٦ ـ معارضته لابن عربي، فإن ذلك ذنب لا يغتفر له من جماعات الصوفية والمتعصبين لها، إن تحقيقاته في الرد على مذهب ابن عربي ـ وحدة الوجود ـ يكفي للقضاء على جميع فضائله ومحاسنه، من قبل المتعصبين الجاهلين المقلدين.

٧ ـ نسبوا إليه مالم يقل، وأوّلوا بعض ما قال على غير وجهه:

قال الندوي: «ولا شك أنّ المعاملة القاسية التي لقيها ابن تيمية من بعض المعاصرين له، والمتعصّبين ضده، كانت شاذة لا تخلو من المغالاة والتطرف، وعدم التحقق والتثبت».

ابتلاؤه ومحنته:

إن الابتلاء في حياة ابن تيمية تتعدد صوره، وتتنوع جهاته المؤثرة فيه، ويطول زمنه. ولم يزده ذلك إلا ثباتاً ويقيناً وطمأنينة لأن وقوع ذلك من أدلة القبول وصحة الطريق.

﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾(*).

المحنة الأولى:

وكان سببها سؤال ورد إليه من حماه أجاب عليه بالفتوى الحموية، وذكر فيها مذهبه

(١١) الدرر الكامنة ١/١٦١، وجلاء العينين/ ٧.

(*) سورة العنكبوت آيات ١ ـ ٢

في فهم الصفات، فأثارت خصومه وتحزبوا ضده، ورموه بالصفات السيئة، إلا أن أحد الأمراء انتصر له، فأطفأ الله به كيد أعدائه وخصومه، وكان ذلك في شهر ربيع الأول سنة (٦٩٨هـ)[١٢].

المحنة الثانية:

هجومه على الفكر الصوفي وعلى ابن عربي صاحب فكرة وحدة: الوجود[١٣]

المحنة الثالثة:

«اتجه خصومه إلى العامة يحرضونهم عليه، وكان ذلك في مصر حيث لم يكن الناس عارفين بمكانته وعلو شأنه[١٤].

المحنة الرابعة:

وذلك لما أفتى به في مسألة الطلقات الثلاث[١٥].

المحنة الخامسة:

وجد خصومه في فتواه في مسألة شد الرحال إلى زيارة القبور فرصة إثارة، فبعثوا بها إلى السلطان ليتخذ قراراً يحد من نشاط ابن تيمية، فأصدر عام ٧٢٦هـ أمراً باعتقال ابن تيمية في قلعة دمشق وبقي فيها حتى مات رحمه الله، وكان دخوله القلعة في السادس من شعبان سنة (٧٢٦هـ)[١٦].

تلاميذه:

تلاميذ ابن تيمية كثر لا يحصرون، خاصة وأنه قد انتقل من مكان إلى مكان، ومن بلد إلى بلد، إلاّ أن أشهرهم:

---

(١٢) البداية والنهاية ١٤/٤ ـ فوات الوفيات ١/٥٠ ـ ٥١

(١٣) البداية والنهاية ١٤/٤٥ ـ وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٩ ـ ٤٠٠ ـ النجوم الزاهرة ٩/٢٧١

(١٤) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٠

(١٥) البداية ١٤/٨٧ ـ ٩٨ وتاريخ ابن الوردى ٢/٢٦٧

(١٦) البداية ١٤/١٢٣ ـ ، وذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠١.

١ ـ ابن القيم: محمد بن أبي بكر. المولود سنة (٦٩١هـ) والمتوفى سنة (٧٥١هـ)[١٧].

٢ ـ ابن كثير : اسماعيل بن عمر. المولود سنة (٧٠١هـ) والمتوفى سنة (٧٧٤هـ)[١٨].

٣ ـ ابن عبد الهادي : محمد بن أحمد عبد الهادي المولود سنة ٧٠٤هـ وتوفى (٧٤٤هـ)[١٩].

رأيه في خصومه:

يقول ابن القلانس: إن ابن تيمية حدّثه قال:

«إن السلطان ـ يقصد ابن قلاوون ـ استفتاه في قتل بعض القضاة بسبب ماكانوا تكلموا فيه، وأخرج فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشلكير وأنهم قاموا عليك وأذوك أنت أيضاً، وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم ففهمت قصده بذلك فأخذت في تعظيم أولئك العلماء والقضاة، وأنكر أن ينال أحداً منهم بسوء، وقال له:

إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم.

فقال : إنهم : أذوك وأرادوا قتلك مراراً.

فقلت له: من آذاني فهو في حل، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه. وأنا لا أنتصر لنفسي. وما زلت به حتى حلم عليهم السلطان وصفح».

قال ابن مخلوف قاضي المالكية:

«ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحجج عنا»[٢٠].

ولما بلغ نائب دمشق نبأ مرضه الأخير استأذن في الدخول عليه ليعوده فأذن له، فلما

(١٧) الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٠ ـ ٤٠٣ ـ شذرات الذهب ٦/ ١٦٨.

(١٨) الدرر الكامنة ١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤ ـ شذرات الذهب ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢

(١٩) الدرر الكامنة ٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٣ ـ شذرات الذهب ٦/ ٢٣١ ـ ٢٣٢.

(٢٠) ذيل طبقات الحنابلة ٢/ ٤٠٠ ـ البداية ١٤/ ١٥.

جلس أخذ يعتذر ويلتمس منه أن يعفو عنه إذا كان قد وقع منه تقصيراً وأذى في حقه، فأجابه ابن تيمية:

«إني قد احللتك وجميع من عاداني وهو لا يعلم أني على الحق، وأحللت السلطان المعظم الملك الناصر من حبسه إياي لكونه فعل ذلك مقلداً معذوراً ولم يفعله لحظ في نفسه، وقد أحللت كل أحد مما بيني وبينه إلا من كان عدواً لله ورسوله صلى الله عليه وسلم»[٢١].

لقد توجه الأذى لابن تيمية من جميع الجهات، حكاماً أو محكومين ومع هذا أعلن أنه لا يؤاخذ أحداً، ولا يعتدي على أحد:

يقــــول:

«تعلمون رضى الله عنكم أني لا أحب أن يؤذى أحد من عموم المسلمين فضلاً عن أصحابنا بشيء أصلاً لا ظاهراً ولا باطناً، ولا عندي عتب على أحد منهم ولا لوم أصلاً بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبّة أضعاف ما كان كل بحسبه. ولا يخلو الرجل إمّا أن يكون مجتهداً أو مخطئاً أو مذنباً، فالأول مأجور مشكور والثاني مع أجره على الاجتهاد معفو عنه والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المسلمين، لا أحب أن ينتصر من أحد بسبب كذبه عليَّ، أو ظلمه وعدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ماأريده لنفسي، والذين كذبوا وظلموا هم في حلّ من جهتى»[٢٢]

مؤلفاتــه:

لقد جاهد بنفسه وقلمه، فعلم الناس التصوّر والفكر، وأراهم من نفسه التطبيق لذلـك الفهم، فكان صورة صادقة يراها الناس في توافق تام بين القول والعمل. والكلمات تبقى خاوية لا روح فيهـا حتى يغـذيها العمل والتطبيق، فإذا بها أرواح تتجسد في صورة واقعية تهدى السالكين، وتنير طريق العابرين في تكامل وانضباط تامين.

---

(٢١) الأعلام العلية ٨٣ ـ ٨٤.

(٢٢) ابن تيمية لأبي زهرة / ٦٢ ـ ورسائل من السجن/ ٢٣.

قال ابن رجب عن مؤلفات ابن تيمية[٢٣]:

«هي أشهر من أن تذكر، وأعرف من أن تنكر، سارت سير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة فلا يمكن لأحد حصرها».

وقال أبو حفص عمر البزار[٢٤]:

«وأما مؤلفاته ومصنفاته فإنها أكثر من أن أقدر على إحصائها، بل هذا لا يقدر عليه أحد، لأنها كثيرة جداً كباراً وصغاراً، وهي منتشرة في البلدان، فكل بلد نزلته إلّا ورأيت فيه من تصانيفه».

يقول الدكتور صالح المنصور[٢٥]:

«هكذا قال الأئمة الأعلام عن مؤلفات ابن تيمية رحمه الله، ولكن مع الأسف فقد خسرت المكتبة الإسلامية جملة كبيرة منها، وعلى الرغم من ذلك فإن الموجود منها جملة كبيرة، تحمل في طياتها فكراً نيراً، وعقلية ناضجة، وعلماً جماً. الأمة الإسلامية في أمسّ الحاجة إليه، ولعلّنا نعرف القارىء الكريم بجملة من هذه المؤلفات التي سطّرها التاريخ، وأبرز جملة كبيرة من كنوزه حتى أصبحت سهلة التناول في كل مكان».

ثم ذكرها كتاباً كتاباً، ورسالة رسالة، فوصل تعدادها إلى أربعمائة واحد عشر (٤١١)، إلّا أنه لو أضاف إلى ذلك الذكر التعريف بأماكن من لم يذكر مكانه، وخاصة المخطوط لكان أنفع إلّا أن الجهد مشكور وطيّب، جزاه الله خيراً.

وفاتــه :

توفي ابن تيمية في سجنه في قلعة دمشق عام (٧٢٨هـ) وخرجت دمشق تشيع جنازته، حيث حضرها عشرات الآلاف من البشر، كأنهم يعتذرون له عن تقصيرهم في دفع الظلم الذي حل به.

(٢٣) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٤٠٣.

(٢٤) الكواكب الدرية/ ١٥٣.

(٢٥) أصول الفقه وابن تيمية ١/١٥٦ ـ ١٨٩.

لقد رحل ابن تيمية، وقد بلغ من العمر (٦٧) عاماً، قضاها في الجهاد والصبر والدعوة، رحمه الله تعالى[٢٦].

قدراته في الحديث وعلومه:

تعدد الثناء عليه في قدرته الحديثية، وسعة اطلاعه على مرويات الأحاديث وفحصها، ويكفيك فيه قول الذهبي: «كل حديث لايعرفه ابن تيمية فليس بحديث»، أو قول المزى: «وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه».

والدراسات الحديثية تفخر بآرائه، وتتضح كثير من المسائل بنظراته، يقول الأستاذ الندوي عنه:[٢٧]

وإن لم يكن له كتاب مستقل في فن الحديث وشرحه، وكان هذا الفن قد بلغ ذروة الاتساع والكمال في القرنين السابع والثامن حيث لم تعد هناك حاجة إلى تأليف أو شرح للحديث، إلا أن مؤلفاته تحوي مواد غزيرة لأصول الحديث، وأسماء الرجال، والجرح والتعديل ونقد الحديث وفقه الحديث، حتى إذا جمعت في كتاب مستقل تكونت ذخيرة قيمة، وكانت تأليفاً ضخماً وبالأخص فإن آراءه فيما يتصل بالاحاديث الموضوعة تبلغ من الصراحة والتحقيق إلى حد يصعب العثور عليه في مكان آخر، والمواد التي تطلع عليها حول هذا الموضوع في كتابه «منهاج السنة» وما بحثه هو عن عشرات من الأحاديث المشهورة والمتداولة، كل ذلك ذخيرة قيمة نادرة».

وقد جمع الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم مجلداً في فتاوي «ابن تيمية» المشهورة عن علم الحديث، وذكر فيها أربعين حديثاً رواها «ابن تيمية» بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٦) الأعلام العلية/ ٨٣ ـ ٨٤ ـ وتذكرة الحفاظ ٤/١٤٩٦.

(٢٧) رجال الفكر والدعوة ٢/٢٣٨.

وقد قسمت هذا البحث إلى مباحث أربعة:

المبحث الأول : طريقة المحدثين في التثبت في الرواية.

وفيـه : التوثيق بالاعتماد على الكتاب والسنة، وبيان مسلكه وصحة السند والتثبت في المنقول.

المبحث الثاني : طريقة المحدثين في الفهم والإدراك.

وفيـه : كيفية الفهم وإدراك الدلالة ـ الرواية عنده، ونظرته الحديثية إلى أسباب الخلاف بين الفقهاء، وبعض نظراته في علوم الحديث ومصطلحه، ونموذج من شرحه للفظ النبوي الشريف.

المبحث الثالث : طريقة المحدثين في الرواية للأحاديث.

وفيـه : نماذج أربعة من مروياته.

المبحث الرابع : طريقة المحدثين في النقد والتقويم.

وفيـه : نماذج من نقده.

والله المستعـان

المبحث الأول : طريقة المحدثين في التثبت من الرواية :

وقد اعتمد المحدثون طريقة في التثبت في الرواية والمروي، اعتمدوا فيها على المعرفة التامة بعلم تاريخ الرواة وأعملوا في ذلك قواعد علم الجرح والتعديل، وصنوف أخرى من علوم الحديث، مما اصطلحوا على جعله قواعد ضبط للرواية حتى تصل إليهم صحيحة.

كما اعتمدوا لتوثيق أقوالهم وتثبيت اجتهاداتهم، النص من القرآن والسنة، فاعتمدوا على ذلك وهو ما يمكن أن يطلق عليه مدرسة الأثر.

وقد كان ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في طريقته واجتهاده، سالك مسلك المحدثين، سائر في منهجيتهم تلك .

ومن ذلك مما ورد عنه في هذا الباب ما يأتي:

قال ابن الوردي :

«وكان للشيخ خبرة تامة بالرجال رواة الحديث، وجرحهم وتعديلهم وطبقاتهم، ومعرفة فنون الحديث، وبالعالي والنازل والصحيح والسقيم، مع حفظه أحواله الذي انفرد به، وهو عجيب في استحضاره واستخراج الحجج منه»(٢٨).

ـ وقال الذهبي عنه:

«يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث»(٢٩).

ـ وقال الحافظ المزى:

«ما رأيت مثله ولا رأى هو مثل نفسه، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ولا أتبع لهما منه»(٣٠).

ـ وقال الذهبي أيضاً:

«سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرج ونظر في الرجال والطبقات، وحصّل مالم يحصّله غيره.

(٢٨) رجال الفكر والدعوة ٢/١٣٨ ـ تاريخ ابن الوردي ١/٤٦.

(٢٩) العقود الدرية / ٤١ . وقد يُحمل هذا على من سبقه أو عاصره وإلا فإن السنة لم يُحط بها أحد ـ والله أعلم.

(٣٠) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩١ ـ والكواكب الدرية/ ١٤٥.

وبرع في تفسير القرآن وغاص في دقيق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها.

وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزواً إلى أصوله وأصحابه.

وفاق في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوي الصحابة والتابعين، بحيث إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل يقول بما دليله عنده[٣١]».

ـ وقال الشيخ فتح الدين بن سيد الناس:

«كاد يستوعب السنن والآثار حفظاً، إذا تكلم في التفسير فهو حامل رايته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته، أو حاضر بالنحل والملل لم تر أوسع من نحلته في ذلك ولا أرفع من درايته.

برز في كل فن على أبناء جنسه، ولم تر عين من رآه مثله، ولا رأت عينه مثل نفسه[٣٢]».

ـ وقال الحافظ سراج الدين البزار:

«لا والله ما رأيت أحداً أشد تعظيماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحرص على أتباعه، ونصر ما جاء به منه[٣٣]».

وقال أبو محمد القاسم بن محمد البرزاني:

«.. وخلق كثير سمع عنهم الحديث، وقرأ بنفسه الكثير، وطلب الحديث، وكتب الطباق والإثبات، ولازم السماع بنفسه مدة سنين، وقل أن يسمع شيئاً إلا حفظه»

«.. وأما الحديث، فكان حامل رايته، حافظاً له، مميزاً بين صحيحه وسقيمه، عارفاً برجاله متضلعاً من ذلك[٣٤]».

ـ وقال عماد الدين الواسطي عنه:

---

(٣١) شذرات الذهب ٦/٨١ ـ وذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٨٩.

(٣٢) الشهادة الزكية / ٢٦ ـ ٢٧.

(٣٣) الكواكب الدرية/ ٢٦٦.

(٣٤) الشهادة الزكية/ ٤٩.

«ما رأينا في عصرنا هذا من تستجلى النبوة المحمدية وسننها من أقواله وأفعاله إلاّ هذا الرجل.

يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة[٣٥]».

ـ وقال الذّهبي :

«ما رأيت أشدّ استحضاراً لمتون الأحاديث منه، وعزوها إلى الصحيح أو المسند أو السنن، كأن ذلك نصب عينيه، وعلى طرف لسانه، بعبارة حلوة وافحام للمخاطب[٣٦]».

والسنة عنده أنواع ثلاثة :

الأول : وهو السنة المتواترة التي تفسر القرآن الكريم، ولا تخالف ظاهره، مثل عدد ركعات الصلاة، ومقدار نصاب الزكاة. . وغيره.

الثاني : هو ما يفسر القرآن الكريم، ولكنه أتى بحكم جديد، مثل السنة التي جاءت في تقدير نصاب السرقة، ورجم الزاني، وهذا النوع لا يخالف ظاهر القرآن مطلقاً.

الثالث : هو أحاديث وأخبار الآحاد التي وصلت إلينا بطريق الثقات، وهذا يجب تقديم العمل به على المصادر الأخرى التي تجيء بعده[٣٧].

ـ ويقول ابن تيمية :

. . وإن تمسك المبطل بحجج سمعية، فإما أن تكون كذباً على الرسول صلى الله عليه وسلم، أو تكون غير دالة على ما احتج به أهل الباطل. فالمنع ـ أي المنع من صحة الاستدلال ـ إما في الإسناد ـ أي سند الحديث كما قدمنا ـ وإما في المتن[٣٨]».

والنتيجة التي نطلبها من هذا المنهج تتلخص فيما يأتي :

«المصدر الأول المعرفة عند ابن تيمية كما يلي :

(٣٥) ذيل طبقات الحنابلة ٢/٣٩٣ ـ شذرات ٦/٨٥ ـ جلاء العينين/ ٦.

(٣٦) الدرر الكامنة ١/١٦٠ ـ الواقي بالوفيات ٧/١٧.

(٣٧) ابن تيمية ـ د/ محمد يوسف موسى/ ١٦٧ ـ ١٦٨.

(٣٨) مجموعة الرسائل الكبرى ١/٥١.

١ ـ إن ما جاءت به الرسل من الله، وثبت بالنقل الصحيح هو المصدر الأساسي للمعرفة الصحيحة، وهو صحيح عند كل من يؤمن بالله وكتبه ورسله. وصحته ثابتة مطلقة.

أما أقوال الناس وإلهاماتهم واستدلالهم فكلها قابلة للصحة والخطأ، لذلك ينبغي أن تربي الأجيال على ربط المعرفة الصحيحة بهذا المصدر، وهو محصور منذ زمن النبي صلى الله عليه وسلم بالقرآن والسنة.

٢ ـ أن هذا المصـدر شمل كل ماتحتاج إليه الأمة إلى معرفته في دينها وتعاملها من المباحات والمحرمات والواجبات والمستحبات و. . .

٣ ـ كذلك يشمل هذا المصدر نماذج الأصول الفكرية من قياس وبرهان واستدلال كما يشمل كل الفروع، فينبغي أن نستقي منه منهجنا في الاستدلال، والتفكير الصحيح، وأن نربي عقول أجيالنا على الأسلوب القرآني في البرهان، وأن نستنبط تشريعنا التربوي من القرآن والسنة.

٤ ـ يجب أن نربي أجيالنا على إتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بسنته، فهـو المربي وهو القدوة، وسنته تضمنت تعليم الحق بالأسلوب الحق، دون الباطل، فأساليبنا التربوية تبعا لأساليب الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم[٣٩].

---

(٣٩) أعلام التربية في تاريخ الإسلام ـ ابن تيمية/ ٦١ ـ ٦٢.

المبحث الثاني : طريقة المحدثين في الفهم :

وإذا ضبط المحـدثون النقل، واعتمدوا القرآن والسنة، فإنهم قد وضعوا قواعد وطـرائق في الفهم لذلك النص. . إنه لا يكفي أن يرد النص مجرداً، بل لابد من قوالب للفهم والإدراك والإستنباط أوجدها العلماء رحمهم الله .

وقد كان ابن تيمية رحمه الله ملتزماً بتلك الطريقة، مقرراً لها. . معتذراً لما يظن أنه خروج عنها في بعض أقوال الأئمة. . وإليك ذلك موضحاً:

قال : فصل : ومما ينبغي أن يعلم أن القرآن والحديث إذا عرف تفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، لم يحتج في ذلك إلى الإستدلال بأقوال أهل اللغة وغيرهم .

ولهذا قال الفقهـاء؛ الأسـماء ثلاثة أنواع: نوع يعرف حدّه بالشرع، كالصلاة والزكاة، ونوع يعرف حدّه باللغة كالشمس والقمر، ونوع يعرف حدّه بالعرف كلفظ المعروف في قوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [40].

فأما ما يعرف حدّه بالشرع، فتفسيره من جهة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يجوز معارضته بقياس أو رأى أو معقول، كما اتفق على ذلك الصحابة والتابعون. فقد كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة .

فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم باحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا بذمته ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده .

فكان القرآن هو الإمام يقتدي به، فإمّا أن يفسر القرآن بالقرآن والسنة ، وإما بالسنة فإذا توافر لم يقدم عليهما شيء[41].

ويقرر بعد ذلك :

«أنه لا سبيل إلى معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها جملة وتفصيلاً واعتقاداً واستدلالاً إلاّ من القرآن والسنة المبينة له، والسير في مسارهما، وما يقرر القرآن وما

---

(٤٠) سورة النساء آية/ ٤٩ .

(٤١) مجموعة الرسائل الكبرى ١/ ١٩ ـ ٢٠ .

تشرّعه السنة مقبول لا يصح رده، وإنكاره خروج على الدين ، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن وتفسيره وتخريجه إلاّ بالقدر الذي تؤدى إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار، وإذا كان للعقل سلطان بعد ذلك فهو التصديق والإذعان وبيان تقريب المنقول من المعقول، وعدم المنافرة بينهما، فالعقل يكون شاهداً ولا يكون حاكماً، ويكون مقرراً مؤيداً، ولا يكون ناقضاً ولا رافضاً، ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن من الأدلّة[٤٢].

ويقول :

«إن الدليلين السمعي والعقلي القطعيين لا يتعارضان أصلاً، وإذا تعارضا كان أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، والقطعي منهما هو المقدّم[٤٣].

يقول :

«إن الفساد لم يأت من قبل النصوص، فهى حق في معناها ولا تحتاج إلى تأويل، وإنّما جاء من حملها على معان فاسدة ليست معانيها المرادة بها»[٤٤]

وكلامه في تأييد هذه المنهجية أكثر مما يحصى، بل لا تكاد تجد مسألة تعرض لها إلا ووجدته ذاكراً مطبقاً لهذه المنهجية، وهى طريقة تميز بها في فكره وعلمه وعمله.

أما نظرته الحديثة إلى أسباب الخلاف بين الفقهاء فهى بين يديك مختصرة مرتبة :

تتعدد الأقوال في المسألة الواحدة حيث يتنازعها النظر الاجتهادى حتى تكثر أوجه الاستدلال والاستنباط، بل ظهر في ذلك ما سمى بمدرسة الأثر ومدرسة الرأى.

وقد أدى ذلك الاجتهاد إلى التعدد في الأقوال على مستوى المسألة الواحدة وقد تكون فيها آراء مصيبة، وآراء مرجوحة.

لذا نظر ابن تيمية إلى كل ذلك وفتش عن الأسباب التى أدت إلى ذلك التعدد والاختلاف بروح الباحث الناقد المدرك لطبيعة الرأى والرأى الآخر وأسباب ذلك.

قال رحمه الله[٤٥] :

---

(٤٢) نوابغ الإسلام/ ٢١٠

(٤٣) بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ١ / ١٠.

(٤٤) نوابغ الإسلام / ٢٠١.

(٤٥) مجموع الفتاوى ٢٠/٢٢٤.

«واجتهاد العلماء في الأحكام كاجتهاد المستدلين على جهة الكعبة، فإذا صلى أربعة أنفس كل واحد منهم بطائفة إلى أربع جهات لاعتقادهم أن القبلة هناك فإن صلاة الأربعة صحيحة، والذي صلى إلى جهة الكعبة واحد وهو المصيب الذي له أجران.

كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر»[٤٦].

ثم ذكر أسباب الخلاف التي أدت إليه بإفاضة اختصرها في نقاط:

قال رحمه الله: وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته، دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون إتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلابد من عذر في تركه. وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدهـا: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.

والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.

والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة:

السبب الأول: أن لا يكون الحديث قد بلغه، ومن لم يبلغه الحديث لم يكلف أن يكون عالماً بموجبه.

وهـذا السبب هو الغـالب على أكثـر ما يوجـد من أقوال السلف مخالفاً لبعض الأحاديث، فإن الاحاطة بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكن لأحد من الأمة.

السبب الثاني: أن يكون الحديث قد بلغه لكنه لم يثبت عنده:

---

(٤٦) أخرجه البخارى ٢٦٧٦/٦ (٦٩١٩) وأخرجه مسلم ١٣٤٢/٣ (١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه.

وذكر بعض أسباب عدم ثبوت الحديث كجهالة الراوي، اتهامه أو سوء حفظه، أو انقطاعه.. الخ.

السبب الثالث: اعتقاد ضعف الحديث باجتهاد قد خالفه فيه غيره مع قطع النظر عن طريق آخر، سواء كان الصواب معه أو مع غيره أو معهما عند من يقول: كل مجتهد مصيب، ولذلك أسباب:

١ - أن يكون المحدث بالحديث يعتقده أحدهما ضعيفاً ويعتقده الأخر ثقة، ومعرفة الرجال علم واسع، ثم قد يكون المصيب من يعتقد ضعفه، لاطلاعه على سبب جارح، وقد يكون الصواب مع الآخر لمعرفته أن ذلك السبب غير جارح، إما لأن جنسه غير جارح، أو لأنه كان له فيه عذر يمنع الجرح، وهذا باب واسع وللعلماء بالرجال وأحوالهم في ذلك من الاجماع والاختلاف مثل ما لغيرهم من سائر أهل العلم في علومهم.

٢ - أن لا يعتقد أن المحدث سمع الحديث ممن حدث منه وغيره يعتقد أنه سمعه لأسباب توجب ذلك معروفة.

٣ - أن يكون للمحدث حالان: حال استقامة وحال اضطراب مثل أن يختلط أو تحترق كتبه، فما حدث به في حال الاستقامة صحيح، وما حدث به في حال الاضطراب ضعيف، فلا يدري ذلك الحديث من أي النوعين؟ وقد علم غيره أنه مما حدث به في حال الاستقامة.

٤ - أن يكون المحدث قد نسي ذلك الحديث فلم يذكره فيما بعد، أو أنكر أن يكون حدثه، معتقداً أن هذا علة توجب ترك الحديث، ويرى غيره أن هذا مما يصح الاستدلال به، والمسألة معروفة.

٥ - أن كثيراً من الحجازيين يرون أن لا يحتج بحديث عراقي أو شامي إن لم يكن له أصل بالحجاز، حتى قال قائلهم: نزلوا أحاديث أهل العراق بمنزلة أحاديث أهل الكتاب، لا تصدقوهم ولا تكذبوهم، وقيل لآخر: سفيان عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله حجة؟ قال: إن لم يكن له أصل بالحجاز فلا،

وهذا لاعتقادهم أن أهل الحجاز ضبطوا السنة، فلم يشذ عنهم منها شيء، وإن أحاديث العراقيين وقع فيها اضطراب أوجب التوقف فيها.

السبب الرابع: اشتراطه في خبر الواحد العدل الحافظ شروطاً يخالفه فيها غيره.

السبب الخامس: أن يكون الحديث قد بلغه وثبت عنده لكن نسيه.

السبب السادس: عدم معرفته بدلالة الحديث:

١ - تارة لكون اللفظ الذي في الحديث غريباً عنده، مثل لفظ المزابنة، والمحاقلة، والمخابرة، والملامسة، والمنابذة، والغرر، إلى غير ذلك من الكلمات الغريبة التي قد يختلف العلماء في تفسيرها، وكالحديث المرفوع: «لاطلاق ولا عتاق في إغلاق»[٤٧]، فإنهم قد فسروا الاغلاق بالإكراه، من يخالفه لا يعرف هذا التفسير.

٢ - وتارة لكون معناه في لغته وعرفه غير معناه في لغة النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحمله على ما يفهمه في لغته، بناء على أن الأصل بقاء اللغة، كما سمع بعضهم آثاراً في الرخصة في النبيذ فظنوه بعض أنواع المسكر» لأنه لغتهم، وإنما هو ما ينبذ لتحلية الماء قبل أن يشتد، فإنه جاء مفسراً في أحاديث كثيرة صحيحة، وسمعوا لفظ الخمر في الكتاب والسنة، فاعتقدوه عصير العنب المشتد خاصة، بناء على أنه كذلك في اللغة، وإن كان قد جاء من الأحاديث أحاديث صحيحة تبين أن الخمر اسم لكل شراب مسكر.

٣ - وتارة لكون اللفظ مشتركاً، أو مجملاً، أو متردداً بين حقيقة ومجاز، فيحمله على الأقرب عنده، وإن كان المراد هو الآخر، كما حمل جماعة من الصحابة في أول الأمر الخيط الأبيض والخيط الأسود على الحبل، وكما حمل آخرون قوله: ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ﴾[٤٨]. على اليد إلى الإبط.

---

(٤٧) أخرجه أبوداود ٢/٦٤٢ - ٦٤٣ (٢١٩٣) وابن ماجة ١/٦٥٩ - ٦٦٠ (٢٠٤٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤٨) سورة النساء آية/ ٤٣.

٤ ـ وتارة لكون الدلالة من النص خفية، فإن جهات دلالات الأقوال متسعة جداً، يتفاوت الناس في إدراكها وفهم وجوه الكلام بحسب منح الحق سبحانه ومواهبه، ثم قد يعرفها الرجل من حيث العموم ولا يفطن لكون هذا المعنى داخلاً في ذلك العام، ثم قد يتفطن له تارة ثم ينساه بعد ذلك.

وهذا باب واسع جداً لا يحيط به إلاّ الله ، وقد يغلط الرجل فيفهم من الكلام مالا تحتمله اللغة العربية التي بعث الرسول صلى الله عليه وسلم بها.

السبب السابع : اعتقاده أن لا دلالة في الحديث، والفرق بين هذا وبين الذي قبله أن الأول لم يعرف جهة الدلالة، والثاني عرف جهة الدلالة لكن اعتقد أنها ليست دلالة صحيحة.

السبب الثامن : اعتقاده أن تلك الدلالة قد عارضها ما دل على أنها ليست مرادة،

السبب التاسع : اعتقاده أن الحديث معارض بما يدل على ضعفه، أو نسخه أو تأويله إن كان قابلاً للتأويل، بما يصلح أن يكون معارضاً بالاتفاق، مثل آية أو حديث آخر، أو مثل إجماع.

ثم قال بعده وهذا عذر كثير من الناس في كثير مما يتركونه، وبعضهم معذور فيه حقيقة، وبعضهم معذور فيه وليس في الحقيقة بمعذور، وكذلك كثير من الأسباب قبله وبعده.

فهذه الأسباب ظاهرة ، وفي كثير من الأحاديث يجوز أن يكون للعالم حجة في ترك العمل بالحديث لم نطلع نحن عليها، فإن مدارك العلم واسعة، ولم نطلع نحن على جميع مافي بواطن العلماء، والعالم قد يبدي حجته وقد لايبديها، وإذا أبداها فقد تبلغنا وقد لاتبلغ، وإذا بلغتنا فقد ندرك موضوع احتجاجه وقد لا ندركه، سواء كانت الحجة صواباً في نفس الأمر أم لا، لكن نحن وإن جوزنا هذا فلا يجوز لنا أن نعدل عن قول ظهرت حجته بحديث صحيح وافقه طائفة من أهل العلم. إلى قول آخر قاله عالم يجوز أن يكون معه ما يدفع به هذه الحجة وإن كان أعلم، إذ تطرق الخطأ إلى آراء العلماء أكثر من تطرقه إلى الأدلة الشرعية، فإن الأدلة الشرعية حجة الله على جميع عباده بخلاف رأى العالم.

وله بعض النظرات في علوم الحديث

امتاز ابن تيمية ببعض النظرات في هذا الجانب المتعلق بمسائل علوم الحديث الاصطلاحية، أذكر لك بعض ذلك فيما يأتي:

١ ـ سئل رحمه الله: إذا صح الحديث هل يكون صدقاً قال:

«إجماع أهل العلم بالحديث على أن هذا الخبر صدق كاجماع الفقهاء على أن هذا الفعل حلال أو حرام أو واجب، وإذا أجمع أهل العلم على شيء فسائر الأمة تبع لهم، فاجماعهم معصوم لا يجوز أن يجمعوا على خطأ»[٤٩].

٢ ـ يقول عن الراوي وروايته:

«الراوي إما أن تقبل روايته مطلقاً أو مقيداً، فأما المقبول إطلاقاً فلابد أن يكون مأمون الكذب بالمظنة، وشرط ذلك العدالة وخلوه عن الأغراض والعقائد الفاسدة التي يظن معها جواز الوضع، وأن يكون مأمون النسب بالحفظ والضبط والاتقان، وأما المقيد فيختلف باختلاف القرائن، ولكل حديث ذوق، ويختص بنظر ليس للآخر»[٥٠].

٣ ـ وقد تعرض إلى اصطلاح الترمذي في جامعة، فقال عنه[٥١]:

«وأما قسمة الحديث إلى صحيح وحسن وضعيف، فهذا أول من عرف أنه قسمة هذه القسمة أبو عيسى الترمذي، ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله، وقد بين أبو عيسى مراده بذلك، فذكر: أن الحسن ما تعددت طرقه ولم يكن فيه متهم بالكذب ولم يكن شاذاً، وهو دون الصحيح الذي عرفت عدالة ناقليه وضبطهم، وقال: الضعيف الذي عرف أن ناقله متهم بالكذب رديء الحفظ، فإنه إذا رواه المجهول خيف أن يكون كاذباً أو سيء الحفظ، فإذا وافقه آخر لم يأخذ عنه عرف أنه لم يتعمد

(٤٩) مجموع الفتاوى ١٨/١٧.
(٥٠) مجموع الفتاوى ١٨/٤٧.
(٥١) مجموع الفتاوى ٢٣/٢٧.

كذبه، واتفاق الاثنين على لفظ واحد طويل قد يكون ممتنعاً، وقد يكون بعيداً، ولما كان تجويز اتفاقهما في ذلك ممكناً، نزل من درجة الصحيح.

وقد أنكر بعض الناس على الترمذي هذه القسمة، وقالوا: إنه يقول: حسن غريب، والغريب الذي انفرد به الواحد، والحديث قد يكون صحيحاً غريباً كحديث: «إنما الأعمال بالنيات»(٥٢) وحديث «فهى عن بيع الولاء وهبته»(٥٣) وحديث «دخل مكة وعلى رأسه المغفر»(٥٤). فإن هذه صحيحة متلقاة بالقبول، والأول لا يعرف ثابتاً عن غير عمر، والثاني: لا يعرف عن غير ابنه عبد الله، والثالث: لا يعرف إلا من حديث الزهري عن أنس، ولكن هؤلاء الذين طعنوا على الترمذي لم يفهموا مراده في كثير مما قاله: فإن أهل الحديث قد يقولون. هذا الحديث غريب، أي: من هذا الوجه، وقد يصرحون بذلك فيقولون: غريب من هذا الوجه، فيكون الحديث عندهم صحيحاً معروفاً من طريق واحد، فإذا روى من طريق آخر كان غريباً من ذلك الوجه، وإن كان المتن صحيحاً معروفاً، فالترمذي إذا قال: حسن غريب قد يعني به أنه غريب من ذلك الطريق، ولكن المتن له شواهد صار بها من جملة الحسن.

وبعض ما يصححه الترمذي ينازعه غيره فيه، كما قد ينازعونه في بعض ما يضعّفه ويحسنه، فقد يضعّف حديثاً صححه البخاري كحديث ابن مسعود لما قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «ابغني أحجاراً استنفض بهن»، قال: فأتيته بحجرين وروثة، قال: فأخذ الحجرين وترك الروثة وقال: «إنها رجس»(٥٥). فإن هذا قد اختلف فيه على أبي اسحاق السبيعي، فجعل الترمذي هذا الاختلاف علة، ورجع روايته له عن أبي عبيدة عن أبيه وهو لم يسمع من أبيه.

وأما البخاري فصححه من طريق أخرى، لأن أبا إسحاق كان الحديث يكون

(٥٢) أخرجه البخاري ١/٣ (١) ومسلم ١٥١٥/٣ (١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٥٣) أخرجه البخاري ٨٩٦/٢ (٢٣٩٨) ومسلم ١١٤٥/٢ (١٥٠٦) من حديث ابن عمر رضى الله عنهما.

(٥٤) أخرجه البخاري ١٥٦١/٤ (٤٠٣٥) ومسلم ٩٩٠/٢ (١٣٥٧) من حديث أنس رضي الله عنه والولاء: الموالاة لن أعتق عبداً يرثه إذا مات وليس له ورثة والمغفر: ما يلبس على الرأس من درع الحديد.

(٥٥) أخرجه البخارى ٧٠/١ (١٥٥) وغيره من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

عنده عن جماعة يرويه عن هذا تارة وعن هذا تارة، كما كان الزهري يروى الحديث تارة عن سعيد بن المسيب وتارة عن أبي سلمة، وتارة يجمعهما، فمن لا يعرفه فيحدث به تارة عن هذا وتارة عن هذا يظن بعض الناس أن ذلك غلط، وكلاهما صحيح، وهذا باب يطول وصفه.

وأما من قبل الترمذي من العلماء فما عرف منهم هذا التقسيم الثلاثي، لكن كانوا يقسمونه إلى صحيح وضعيف، والضعيف عندهم نوعان:

- ضعيف ضعفاً لا يمتنع العمل به، وهو يشبه الحسن في اصطلاح الترمذي،

- وضعيف ضعفاً يوجب تركه، وهو الواهي، وهذا بمنزلة مرض المريض قد يكون قاطعاً بصاحبه فيجعل التبرع من الثلث، وقد لا يكون قاطعاً بصاحبه وهذا موجود في كلام الأمام أحمد وغيره، ولهذا يقولون: هذا فيه لين، فيه ضعف، وهذا عندهم موجود في الحديث.

ومن العلماء المحدثين أهل الاتقان: مثل شعبة ومالك والثوري ويحيى بن سعيد القطان، وعبدالرحمن بن مهدي هم في غاية الاتقان والحفظ بخلاف من دون هؤلاء، وقد يكون الرجل عندهم ضعيفاً لكثرة الغلط في حديثه، ويكون حديثه إذاً الغالب عليه الصحة لأجل الاعتبار به والاعتقاد به، فإن تعدد الطرق وكثرتها يقوي بعضها بعضاً حتى قد يحصل العلم بها، ولو كان الناقلون فجاراً فساقاً، فكيف إذا كانوا علماء عدولاً ولكن كثر في حديثهم الغلط؟

ومثل هذا عبد الله بن لهيعة، فإنه من أكابر علماء المسلمين، وكان قاضياً بمصر، كثير الحديث، لكن احترقت كتبه فصار يحدث من حفظه، فوقع في حديثه غلط كثير، مع أن الغالب على حديثه الصحة، قال أحمد: قد أكتب حديث الرجل للاعتبار به[٥٦]: مثل ابن لهيعة.

وأما من عرف منه أنه يتعمد الكذب فمنهم من لا يروي عن هذا شيئاً، وهذه

(٥٦) معنى كلمة - الاعتبار به - أي البحث عن طرق الحديث ليعلم هل له متابع أو شاهد أم أنه حديث فرد فيحكم عليه بعد.

طريقة أحمد بن حنبل وغيره لم يرو في مسنده عمن يعرف أنه يتعمد الكذب، لكن يروى عمن عرف منه الغلط للاعتبار به والاعتضاد.

ومن العلماء من كان يسمع حديث من يكذب، ويقول: إنه يميز بين ما يكذبه وبين مالا يكذبه، ويذكر عن الثوري أنه كان يأخذ عن الكلبي وينهى عن الأخذ عنه، ويذكر أنه يعرف، ومثل هذا قد يقع لمن كان خبيراً بشخص إذا حدثه بأشياء يميز بين ما صدق فيه وما كذب فيه بقرائن لا يمكن ضبطها، وخبر الواحد قد يقترن به قرائن تدل على أنه صدق، أو تقترن به القرائن تدل على أنه كذب.

٤ ـ وسئل: عن قوم اجتمعوا على أمور متنوعة في الفساد، ومنهم من يقول:

لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث واحد بالتواتر إذا التواتر نقل الجم الغفير من الجم الغفير؟

فأجاب[٥٧]:

أما من أنكر تواتر حديث واحد فيقال له: التواتر نوعان: تواتر عن العامة، وتواتر عن الخاصة وهم أهل العلم بالحديث، وهو أيضاً قسمان: ماتواتر لفظه، وما تواتر معناه، فأحاديث الشفاعة والصراط والميزان والرؤية وفضائل الصحابة ونحو ذلك متواتر عند أهل العلم، وهي متواترة المعني وإن لم يتواتر لفظ بعينه، وكذلك معجزات النبي صلى الله عليه وسلم الخارجة عن القرآن متواترة أيضاً، وكذلك سجود السهو متواتر أيضاً، عند العلماء، وكذلك القضاء بالشفعة ونحو ذلك.

وعلماء الحديث يتواتر (عندهم) مالا يتواتر عند غيرهم، لكونهم سمعوا مالم يسمع به غيرهم، وعلموا من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم، مالم يعلم غيرهم والتواتر لا يشترط له عدد معين، بل من العلماء من أدعى أن له عدداً يحصل له به العلم من كل ما أخبر به كل مخبر، ونفوا ذلك عن الأربعة، وتوقفوا فيما زاد عليها، وهذا غلط. فالعلم يحصل تارة بالكثير، وتارة بقرائن تقترن بأخبارهم وبأمور أخر.

وأيضاً فالخبر الذي رواه الواحد من الصحابة والاثنان: إذا تلقته الأمة بالقبول

---

(٥٧) مجموع الفتاوى ١٨/٥٦.

والتصديق أفاد العلم عند جماهير العلماء، ومن الناس من يسمى هذا: المستفيض. والعلم هنا حصل باجماع العلماء على صحته، فإن الاجماع لا يكون على خطأ، ولهذا كان أكثر متون الصحيحين مما يعلم صحته عند الطوائف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية، والأشعرية، وإنما خالف في ذلك فريق من أهل الكلام كما قد بسط في موضعه.

٥ ـ وله نظرة في مسألة العمل بالحديث الضعيف هي[٥٨] :

أنه سئل عن قول أحمد بن حنبل: إذا جاء الحلال والحرام شددنا في الأسانيد، وإذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد، وكذلك ما عليه العلماء من العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال فقال ليس معناه إثبات الاستحباب بالحديث الذي لا يحتج به، فإن الاستحباب حكم شرعي، فلا يثبت إلا بدليل شرعي، ومن أخبر عن الله أنه يحب عملاً من الأعمال من غير دليل شرعي، فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله، كما لو أثبت بالإيجاب أو التحريم، ولهذا يختلف العلماء في الاستحباب كما يختلفون في غيره، بل هو أصل الدين المشروع.

وإنما مرادهم بذلك: أن يكون العمل مما قد ثبت أنه مما يحبه الله أو مما يكرهه الله بنص أو إجماع، كتلاوة القرآن، والتسبيح، والدعاء، والصدقة والعتق، والإحسان إلى الناس، وكراهة الكذب، والخيانة، ونحو ذلك، فإذا روى حديث في فضل بعض الأعمال المستحبة وثوابها وكراهة بعض الأعمال وعقابها، فمقادير الثواب والعقاب وأنواعه إذا روى فيها حديث لا نعلم أنه موضوع جازت روايته والحمل به، بمعنى: أن النفس ترجو ذلك الثواب أو تخاف ذلك العقاب، كرجل يعلم أن التجارة تربح، لكن بلغه أنها تربح ربحاً كثيراً، فهذا إن صدّق نفعه، وإن كذب لم يضره، ومثال ذلك الترغيب والترهيب بالاسرائيليات، والمنامات، وكلمات السلف والعلماء، ووقائع العلماء ونحو ذلك، مما لا يجوز بمجرده إثبات حكم شرعي، لا استحباب ولا غيره، ولكن يجوز أن يذكر في الترغيب والترهيب، والترجيه والتخويف.

(٥٨) مجموع الفتاوى ١٨/٦٥.

فما علم حسنه أو قبحه بأدلة الشرع فإن ذلك ينفع ولا يضر، وسواء كان في نفس الأمر حقاً أو باطلاً، فما علم أنه باطل موضوع لم يجز الالتفات إليه، فإن الكذب لا يفيد شيئاً، وإذا ثبت أنه صحيح أثبتت به الأحكام، وإذا احتمل الأمرين روى لإمكان صدقه ولعدم المضرة في كذبه، وأحمد إنما قال: إذا جاء الترغيب والترهيب تساهلنا في الأسانيد، ومعناه: أننا نروى ذلك بالأسانيد وإن لم يكن محدثوها من الثقات، الذين يحتج بهم ، وكذلك قول من قال: يعمل بها في فضائل الأعمال، إنما العمل بها العمل بما فيها من الأعمال الصالحة، مثل التلاوة والذكر والاجتناب لما كره فيها من الأعمال السيئة.

ونظير هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو: «بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[٥٩]»، مع قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم[٦٠]» فإنه رخص في الحديث عنهم، ومع هذا نهى عن تصديقهم وتكذيبهم، فلو لم يكن في التحديث المطلق عنهم فائدة لما رخص فيه وأمر به ، ولو جاز تصديقهم بمجرد الاخبار لما نهى عن تصديقهم، فالنفوس تنتفع بما تظن صدقه في مواضع.

فإذا تضمنت أحاديث الفضائل الضعيفة تقديراً وتحديداً مثل صلاة في وقت معين بقراءة معينة، أو على صفة معينة لم يجز ذلك، لأن استحباب هذا الوصف المعين لم يثبت بدليل شرعي، بخلاف مالو روي فيه من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله كان له كذا وكذا[٦١]، فإن ذكر الله في السوق مستحب لما فيه من ذكر الله بين الغافلين، كما جاء في الحديث المعروف: «ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء بين الشجر اليابس»[٦٢].

(٥٩) أخرجه البخارى ١٢٧٥/٣ (٣٢٧٤) ومسلم ٢٢٩٩/٤ (٣٠٠٤) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنه.

(٦٠) أخرجه البخاري ١٦٣٠/٤ (٣٢١٥) بمعناه ـ وأخرجه أحمد في المسند ١٢٦/٤ وابو داود ٥٩/٤ ـ ٣٦٤٤ ـ عن أبي نملة الأنصاري ـ رضي الله عنه.

(٦١) أخرجه الترمذي ٤٩١/٥ (٣٤٢٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال حديث غريب وأخرجه غيره.

(٦٢) أبونعيم في الحلية ١٨١/٦ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما ـ وهو ضعيف.

فأما تقدير الثواب المروي فيه فلا يضر ثبوته ولا عدم ثبوته، وعلى مثله جاء الحديث الذي رواه الترمذي: «من بلغه عن الله شيء فيه فضل فعمل به وجاء ذلك الفضل، أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن ذلك كذلك»[٦٣].

فالحاصل: أن هذا الباب يُروي ويُعمل به في الترغيب والترهيب، لا في الاستحباب، ثم اعتقاد موجبه وهو مقادير الثواب والعقاب، يتوقف على الدليل الشرعي.

(٦٣) قال العجلوني في كشف الخفا ٢/٣٠٩ ـ رواه أبوالشيخ في مكارم الأخلاق عن جابر مرفوعا وفي سنده بشر بن عبيد متروك، ورواه ابو يعلي والطبراني في الأوسط بلفظ آخر، وانظر المقاصد الحسنة/ ٤٠٥.

نماذج من شرحه للفظ النبوي

أذكر بعض اختياراته في شرح بعض الأحاديث، ومن ذلك:

قال رحمه الله[٦٤]: فصل في قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء»[٦٥]

لا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً يجوز تركه - والعياذ بالله - بل الأمر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٦٦].

وقال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٦٧].

وقال تعالى:

﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُ ۚ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٦٨].

ولا يقتضي هذا أنه إذا صار غريباً أن المتمسك به يكون في شر، بل هو أسعد الناس كما قال في تمام الحديث: «فطوبي للغرباء»، و«طوبي» من الطيب، قال تعالى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[٦٩]..

فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريباً.

وهم أسعد الناس، أما في الآخرة.. فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء عليهم السلام.

---

(٦٤) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٩٠.

(٦٥) أخرجه مسلم ١/ ١٣٠ (١٤٥) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٦) سورة آل عمران آية / ٨٥.

(٦٧) سورة آل عمران آية ١٠٢.

(٦٨) سورة البقرة آيات ١٣٠ - ١٣١ - ١٣٢.

(٦٩) سورة الرعد آية / ٢٩.

وأما في الدنيا، فقد قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[70].

أي أن الله حسبك، وحسب متبعك.

وقال تعالى:

﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[71].

وقال تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾[72].

وقال:

﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[73].

فالمسلم المتبع للرسول، الله تعالى حسبه وكافيه وهو وليه حيث كان ومتى كان.

وقال: [74]

«وكثير من الناس إذا رأي المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكلَّ وناح كما ينوح أهل المصائب، وهو منهيٌّ عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى، وأن ما يصيبه فهو بذنوبه فليصبر، إن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشيّ والإبكار».

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يعود غريباً كما بدأ» يحتمل شيئين:

أحدهما .. أنه في أمكنة وأزمنة يعود غريباً بينهم ثم يظهر، كما كان في أول الأمر غريباً ثم ظهر، ولهذا قال: «سيعود غريباً كما بدأ» وهو لما بدأ كان غريباً لا يعرف ثم

---

(٧٠) سورة الأنفال آية/ ٦٤.

(٧١) سورة الأعراف آية ١٩٦.

(٧٢) سورة الزمر آية ٣٦.

(٧٣) سورة الطلاق آيات ٢ ـ ٣.

(٧٤) مجموع الفتاوى ١٨/ ٢٩٥.

ظهر وعرف، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف فيقل من يعرفه في أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولاً.

ويحتمل أنه في آخر الدنيا لا يبقى مسلماً إلا قليل، وهذا إنما يكون بعد الدجال، ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة، وحينئذ يبعث الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة[٧٥]، ثم تقوم القيامة.

وأما قبل ذلك فقد قال صلى الله عليه وسلم:

لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لايضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة[٧٦].

وهذا الحديث في الصحيحين، ومثله من عدة أوجه.

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لاتزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق أعزاء لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل، فأما بقاء الإسلام غريباً ذليلاً في الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «ثم يعود غريباً كما بدأ»، أعظم ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه، وقد قال تعالى:

﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ﴾[٧٧].

فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك.

وكذلك بدأ غريباً ولم يزل يقوي حتى انتشر، فهكذا يتغرب في كثير من الأمكنة والأزمنة ثم يظهر حتى يقيمه الله عز وجل، كما كان عمر بن عبد العزيز لمّا وليَّ قد

---

(٧٥) أخرجه مسلم ١/١٠٩ (١١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه «إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة أو ذرة من إيمان إلّا قبضته».

(٧٦) أخرجه البخاري ٦/٢٦٦٧ (٦٨٨١ بمعناه من حديث معاوية رضي الله عنه ومسلم ٣/١٥٢٣ (١٩٢٠) - من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٧٧) سورة المائدة آية / ٥٤.

تغرب كثير من الإسلام على كثير من الناس، حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر، فأظهر الله في الإسلام ما كان غريبا.

وفي السنن:

«إن الله يبعث لهذه الأمة في رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[78]. والتجديد إنما يكون بعد الدروس، وذلك. هو غربة الإسلام.

وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون في شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ.

قال تعالى:

﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾[79].

إلى غير ذلك من الآيات والبراهين الدالة على صحة الإسلام.

وقد تكون الغربة في بعض شرائعه، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة، ففي كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريباً بينهم لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد.

ومع هذا فطوبي لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله، فإن إظهاره والأمر به والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:

«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه ليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل»[80].

وإذا قدر أن في الناس من حصل له سوء في الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله

---

(78) أخرجه أبوداود ٤/ ٤٨٠ (٤٢٩١) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(79) سورة يونس آية ٩٤.

(80) أخرجه مسلم ١/ ٦٩ (٤٩) وغيره من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ورسوله وأتباعه، فهذا من ذنوبه ونقص إسلامه، كالهزيمة التي أصابتهم يوم أحد، وإلا فقد قال تعالى:

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾(81).

وقال تعالى:

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾(82).

وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عبرة، والله أعلم.

---

(81) سورة غافر آية ٥١.

(82) سورة الصافات آيات ١٧١ ـ ١٧٢ ـ ١٧٣.

المبحث الثالث : طريقة المحدثين في رواية الأحاديث:

يروي المحدثون المتن بذكر من حدثهم عن شيخه إلى نهاية السند ـ المروي عنه ـ وهي الطريقة التي طبقها علماء الحديث، فلا يقبلون حديثاً إلّا بسنده، وقالوا:

«الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء:

واختار من الأربعين التي رواها بسنده أربعة أحاديث اذكرها بسنده[٨٣]. قال:

١ ـ أخبرنا العدل المسند أمين الدين أبو محمد القاسم بن أبي بكر بن قاسم ابن غديعة الأربلى، وأبو بكر بن عمر بن يونس المزى الحنفى، وأبو عبدالله محمد بن محمد بن سليمان العامري، قراءة عليهم وأنا أسمع سنة (٦٧٧هـ):

قال الأول: أخبرنا أبو الحسن المؤيد، عن محمد بن الفضل بن أحمد الغراوي وقال الآخران: أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن الحرستاني قراءة عليه، أخبرنا الفراوى إجازة، أخبرنا أبو الحسين عبد الغافر بن محمد بن عبد الغافر الفارسي. أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى عمرويه الجالودي، أخبرنا أبو اسحاق إبراهيم ابن محمد بن سفيان. حدثنا مسلم بن الحجاج القشيري حدثنا خلف بن هشام وأبو الربيع الزهراني، وقتيبة بن سعيد، كلهم عن حماد، قال خلف: حدثنا حماد بن زيد عن محمد بن زياد حدثنا أبو هريرة قال: قال محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار[٨٤].

ولد الأربلى في سنة (٥٩٥هـ) أو قبلها بإربل، وتوفى في جمادي الأولى سنة (٦٨٠هـ) وولد المزي سنة (٥٦٣)هـ وتوفى في شعبان سنة (٦٨٠هـ).

٢ ـ أخبرنا نجيب الدين أبو المرهف المقداد بن أبي القاسم هبة الله بن المقداد ابن على القيس قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر قراءة عليه، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري،

(٨٣) مجموع الفتاوى ١٨/٩٣ ـ ١٠١ ـ ١١٤ ـ ١٢١.

(٨٤) أخرجه البخاري ١/٢٤٥ (٦٥٩) وأخرجه مسلم ١/٣٢٠ (١١٤ ـ ٤٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أخبرنا أبو اسحاق البرمكي، أخبرنا أبو محمد بن ماسي، حدثنا أبو مسلم الكجي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنى سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاهجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام ـ أو قال ثلاث ليال)[٨٥].

٣ ـ أخبرنا الشيخ الإمام محيى الدين أبو حفص عمر بن محمد بن عبد الله بن محمد ابن أبي عمرون التميمي بقراءتي عليه وأنا أسمع سنة (٦٨٢هـ)، وأبو حامد الصابوني قالا: أخبرنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن أبي الفضل الحرستاني، أخبرنا أبو محمد طاهر بن سهل الاسفرائيني، أخبرنا أبو الحسين محمد بن مكي الأزدي، أخبرنا القاضي أبو الحسين على بن محمد بن اسحاق بن يزيد الحلبي سنة (٣٩٠) حدثنا أبو القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضي، حدثنا عبد الرحمن بن جابر الكلاعي، حدثنا يحيى بن صالح الوحاظي، حدثنا العلاء بن سليمان، عن الزهري، عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم:

«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلماء فإذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً. فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلو»[٨٦].

وأخبرنا عالياً أبو الحسن بن البخاري، أخبرنا ابن طبرزد، أخبرنا القاضي أبو بكر، أخبرنا على بن إبراهيم الباقلاني، حدثنا محمد بن اسماعيل الوراق إملاء، حدثنا أبو بكر محمد بن محمد بن سليمان الواسطي، حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مالك بن أنس، وحفص بن أبي ميسرة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبدالله ابن عمرو (فذكره).

أخرجه البخاري ومسلم من حديث هشام.

مولده سنة (٥٦٦هـ) وتوفى في ثالث ذي القعدة سنة (٩٨٢هـ).

---

(٨٥) أخرجه البخاري ٢٣٠٢/٥ (٥٨٨٣) من حديث أبي أيوب الأنصاري وأخرجه مسلم ١٩٨٤/٤ (٢٥٦٠).

(٨٦) أخرجه البخاري ٥٠/١ (١٠٠) من حديث عبدالله بن عمرو وأخرجه مسلم ٢٠٥٩/٤ (٢٦٧٣) وهو في الفتاوى بهذا اللفظ ١١٤/١٨.

٤ ـ أخبرتنا الشيخة الصالحة أم محمد زينب بنت أحمد بن عمر بن كامل المقدسية، قراءة عليها وأنا أسمع سنة (٦٨٤هـ). وأبو عبدالله بن بدر، وأبو العباس ابن شبيان، وابن العسقلاني:

قالوا: أخبرنا ابن طبرزد، أخبرنا ابن البيضاوي، والفزاز، وابن يوسف، قالوا: أخبرنا ابن المسلمة، أخبرنا المخلمي، أخبرنا أبو القاسم عبيدالله بن محمد، حدثنا الحسن بن اسرائيل الهـرنيري، حدثنا عيسى بن يونس، عن أسامة بن زياد، عن سليمان بن يسار، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير احتلام ثم يتم صومه»[٨٧] ولدت سنة (٦٠١). وتوفيت في شوال سنة (٦٨٧).

واهتمامه بمروياته يظهر من هذه اللطائف الواردة في هذه الأحاديث الأربعة:

أولاً : وصف الراوي بما يوثقه، ويوضح حاله وهو كذلك عدل مسند.

ثانيـا : ذكر الشيوخ الذين روى عنهم الحديث.

ثالثـاً : بيان طريقة السماع ـ أي طريقة التحمل للرواية ـ حيث قال قراءة عليهم وأنا أسمع.

رابعـاً : بيان التاريخ الذي تم فيه السماع، وفائدة ذلك بيان الإطمئنان إلى صحة السماع، وانتفاء التدليس أو الانقطاع.

خامساً : الدقة في نقل أقوال الرواة والشيوخ، والتحرى في الألفاظ التي حصل لهم بها التحمل:
فالحـديث الأول: قال الراوي الأول أخبرنا ـ وهو يدل على سماعه وقال الآخران أخبرنا ـ قال الثاني ـ قراءة عليه وقال الثالث ـ إجازة.
وهذه دقة متناهية في تحرى ألفاظ الشيوخ والسماع منهم.

---

(٨٧) أخرجه البخارى ٢/٦٧٩ ـ ٦٨١ ـ ٦٨٢ (١٨٢٥ ـ ١٨٣٠) وأخرجه مسلم ٢/٧٨٠ (١١٠٩) من حديث عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما.

سادساً: بيان تاريخ الرواة من خلال ذكر سنة الولادة والوفاة، وهو علم تاريخ الرواة لبيان معاصرتهم لمن روى عنهم، اينتفي الانقطاع أو عدم السماع.

سابعاً: تحرى الدقة في لفظ الحديث كما ورد في الحديث الثاني: (لاهجرة بين المسلمين فوق ثلاثة أيام ـ أو قال ثلاث ليال)، وذلك لفرق الدلالة التي تبذل عليه الألفاظ.

ثامناً: بيان طلب العلوفي الاسناد، وهو قلة عدد رجال السند، وقرب الراوي من المروى عنه ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وفائدة ذلك انحصار الخطأ وندرته كلما كان العدد قليلاً، وامكانية وقوعه كلما كثرت الواسطات.

تاسعاً: ذكر من يخرج الحديث، وخاصة البخاري ومسلم، لما يدل عليه إخراجهما للحديث من صحة لالتزامهم به.

عاشراً: روايته عن هذه المرأة في الحديث الرابع، ووصفها ومدحها بأنها شيخة صالحة، وهذا أدب جم في الوصف والرواية معاً، فلا يجد حرجاً في جعلها الأساس مع وجود مشائخ آخرين معها، وهذا تكريم منه للعلم الذي حملته تلك المرأة.

المبحث الرابع: طريقة المحدثين في النقد والتقويم:

أبدع علماء الحديث بايجاد فن علم الجرح والتعديل، إذ بقواعده يُعرف الحق من الباطل والصواب من الخطأ، وهو علم لم يسبق إليه من قبل الأمم السابقة.

لذا كان لابد من تقويم الأعمال، ونقد الأخطاء ليظهر الحق، ويتضح الباطل ويُردّ عليه.

وقد مارس ابن تيمية ـ رحمه الله ـ ذلك، وإليك نماذج من نقده وتقويمه:

لعلماء الحديث منهج متكامل في موازين النقد، يقوم على العدل والإنصاف والتوازن حتى مع الخصوم.

يقول ابن تيمية في ذلك:

«.. والله قد أمرنا ألّا نقول عليه إلّا الحق، وألا نقول عليه إلا بعلم وأمرنا بالعدل والقسط»[88].

وقال رحمه الله[89]

«ومما يتعلق بهذا الباب أن يعلم أن الرجل العظيم في العلم والدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إلى يوم القيامة أهل البيت وغيرهم، قد يحصل منه نوع من الاجتهاد مقروناً بالظن، ونوع من الهوى الخفي، فيحصل بسبب ذلك مالا ينبغي اتباعه فيه، وإن كان من أولياء الله المتقين.

ومثل هذا إذا وقع يصير فتنة لطائفتين:

١ ـ طائفة تعظمه فتريد تصويب ذلك الفعل واتباعه عليه.

٢ ـ وطائفة تذمه فتجعل ذلك قادحاً في ولايته وتقواه، بل في بره وكونه من أهل الجنة، بل في إيمانه حتى تخرجه عن الإيمان.

(٨٨) منهاج السنة ٢/٣٤٢.

(٨٩) منهاج السنة ٤/٥٤٣.

وكلا هذين الطرفين فاسد، والخوارج والروافض وغيرهم دخل عليهم الداخل من هذا.

ومن سلك طريق الاعتدال عظم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه، فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات، فيحمد ويذم، ويثاب ويعاقب، ويحب من وجه ويبغض من وجه، هذه هو مذهب أهل السنة والجماعة، خلافاً للخوارج والمعتزلة ومن وافقهم».

وقد مارس ابن تيمية النقد للأقوال والأحكام، وللرجال والكتب، وإليك نماذج من ذلك:

١ - يقول عن أهل البدع[٩٠]

«إن أكثرهم - أي أصحاب المقالات - قد صار لهم في ذلك حتى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهداً، معذوراً، لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلاً سيء القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضى هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله ويذموا من لم يذمه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء نفوسهم لا على دين الله ورسوله، وهذا حال الكفار الذين لا يطلبون إلا أهواءهم، ويقولون هذا صديقنا وهذا عدونا، وبلغة المُغُلّ هذا بالٍ، وهذا باغي، لا ينظرون إلى موالاة الله ورسوله ومعاداة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس».

٢ - وقال رحمه الله تعالى[٩١]:

« . . فأما الصديقون والشهداء والصالحون، فليسوا بمعصومين، وهذا في الذنوب المحققة، وأما ما اجتهدوا فيه فتارة يصيبون وتارة يخطئون، فإذا اجتهدوا فأصابوا فلهم أجران، وإذا اجتهدوا وأخطأوا فلهم أجر على اجتهادهم، وخطؤهم مغفور لهم.

وأهل الضلال يجعلون الخطأ والإثم متلازمين، فتارة يغلون فيهم فيقولون إنهم

(٩٠) منهاج السنة ٢٢٥/٥. والعبارة صحيحة.

(٩١) مجموع الفتاوى ٦٩/٣٥ - ومنهاج السنة ٨٣/٥.

معصومون، وتارة يجفون عنهم ويقولون إنهم باغون بالخطأ، وأهل العلم والإيمان لا يعصمون ولا يؤثمون».

٣ ـ قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن أبن ذر الهروى رحمه الله وهو أحد الرواة المشهورين لصحيح البخاري[٩٢].

«أبو ذر فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة، وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به، وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني إلى الحرم، فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم، كأبي نصر السجزى، وأبي القاسم سعد بن على الزنجاني، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين بما ليس هذا موضعه، وهو ممن يرجح طريقة الصبغي والثقفى على طريقة ابن خزيمة وأمثاله من أهل الحديث، وأهل المغرب كانوا يحجون فيجتمعون به ويأخذون عنه الحديث وهذه الطريقة، ويدلهم على أصلها فيرحل منهم من يرحل إلى المشرق كما رحل أبو الوايد الباجى، فأخذ طريقة أبي جعفر السناني الحنفي ـ وهو جهمى ـ صاحب القاضي أبي بكر، ورحل بعده القاضي أبو بكر العربي فأخذ طريقة أبي المعالى في الإرشاد.

ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساع مشكورة، وحسنات مبرورة، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع والانتصار لكثير من أهل السنة والدين مالا يخفي على من عرف أحوالهم، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف، لكن لما التبس عليهم هذا الأصل المأخوذ ابتداء من المعتزلة، وهم فضلاء عقلاء، احتاجوا إلى طرده والتزام لوازمه، فلزمهم بسبب ذلك من الأقوال ما أنكره المسلمون من أهل العلم والدين، وصار الناس بسبب ذلك: منهم من يعظمهم لما لهم من المحاسن والفضائل، ومنهم من يذمهم لما وقع في كلامهم من البدع والباطل، وخيار الأمور أوساطها».

(٩٢) درء تعارض العقل والنقل ٢/١٠١ ـ ١٠٣.

(٩٣) درء تعارض العقل والنقل ٢/١٠١ ـ ١٠٣.

ثم قال ابن تيمية كلاماً عاماً مفيداً في هذا الباب[٩٣]، وهو قوله:

«وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع لطوائف من أهل العلم والدين، والله تعالى يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات، ويتجاوز لهم عن السيئات.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[٩٤].

ولا ريب أن من اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخطأ في بعض ذلك، فالله يغفر له خطأه، تحقيقاً للدعاء الذي استجابه الله لنبيه وللمؤمنين حين قالوا:
﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[٩٥].

ومن اتبع ظنه وهواه فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه خطأ ظنّه صواباً بعد اجتهاده، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك أو أعظم أو أصغر فيمن يعظمه هو من أصحابه، فقل من يسلم من مثل ذلك في المتأخرين، لكثرة الاشتباه والاضطراب..».

٤ ـ وقال ابن تيمية في أبي محمد بن حزم[٩٦]:

«... وكذلك أبو محمد بن حزم فيما صنفه من الملل والنحل إنما يستحمد بموافقة السنة والحديث، مثل ما ذكره في مسائل القدر والإرجاء ونحو ذلك، بخلاف ما انفرد به من قوله في التفضيل بين الصحابة، وكذلك ما ذكره في باب الصفات، فإنه يستحمد فيه بموافقة أهل السنة والحديث، ويقول: إنه موافق للإمام أحمد في مسألة القرآن الكريم وغيرها، ولا ريب أنه موافق له ولهم في بعض ذلك، لكن الأشعرى ونحوه أعظم موافقة للامام أحمد بن حنبل ومن قبله من الأئمة في القرآن الكريم والصفات.

---

(٩٤) سورة الحشر آية / ١٠.

(٩٥) سورة البقرة آية ٢٨٦.

(٩٦) نقض المنطق ١٧ ـ ١٨.

وإن كان أبو محمد بن حزم في مسائل الايمان والقدر أقوم من غيره، وأعلم بالحديث وأكثر تعظيماً له ولأهله من غيره، لكن قد خالط من أقوال الفلاسفة المعتزلة في مسائل الصفات ما صرفه عن موافقة أهل الحديث في معاني مذهبهم في ذلك، فوافق هؤلاء في اللفظ وهؤلاء في المعنى. وبمثل هذا صار يذمه من يذمه من الفقهاء والمتكلمين وعلماء الحديث باتباعه لظاهر لاباطن له، كما نفى المعانى في الأمر والنهى والاشتقاق، وكما نفى خرق العادات ونحوه من عبادات القلوب، مضموماً إلى مافي كلامه من الوقيعة في الأكابر، والإسراف في نفى المعانى ودعوى متابعة الظواهر، وإن كان له من الإيمان والدين والعلوم الواسعة الكثيرة مالا يدافعه إلا مكابر.

ويوجد في كتبه من كثرة الاطلاع على الأقوال والمعرفة بالأحوال والتعظيم لدعائم الإسلام، ولجانب الرسالة مالا يجتمع مثله لغيره، فالمسألة التي يكون فيها حديث يكون جانبه فيها ظاهر الترجيح، وله من التمييزو بين الصحيح والضعيف والمعرفة بأقوال السلف مالا يكاد يقع مثله لغيره من الفقهاء.

٥ ـ أما نقده وتقويمه للكتب والمؤلفات، فإليك رأيه في كتاب إحياء علوم الدين وقوت القلوب[٩٧]،

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض تقويمه لكتابي:
«إحياء علوم الدين» لأبي حاحد الغزالي، و «قوت القلوب» لأبي طالب المكي» «أما كتاب قوت القلوب، وكتاب الإحياء تبع له فيما يذكره من أعمال القلوب مثل الصبر، والشكر، والحب، والتوكل، والتوحيد، ونحو ذلك.

وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية من أبي حامد الغزالي، وكلامه أسد وأجود تحقيقاً، وأبعد عن البدعة، مع أن في قوت القلوب أحاديث ضعيفة وموضوعة، وأشياء كثيرة مردودة.

وأما ما في الإحياء من الكلام في المهلكات مثل: الكلام على الكبر، والعجب،

(٩٧) مجموع الفتاوى ١٠/٥٥ ـ والفتاوى الكبرى ٢/١٩٤.

والرياء، والحسد، ونحو ذلك، فغالبه منقول من كلام الحارث المحاسبي في الرعاية، ومنه ما هو مقبول، ومنه ما هو مردود، ومنه ما هو متنازع فيه.

والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإن فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة ، تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين.

وقد أنكر أئمة الدين على أبي حامد هذا في كتبه وقالوا: مرضه الشفاء، يعني: شفاء ابن سيناء في الفلسفة.

وفيه أحاديث وآثار ضعيفة، بل موضوعة كثيرة وفيه أشياء من أغاليط الصوفية وترهاتهم، وفيه ـ مع ذلك ـ من كلام مشايخ الصوفية العارفين المستقيمين في أعمال القلوب الموافق للكتاب والسنة، ومن غير ذلك من العبادات والأدب ما هو موافق للكتاب والسنة ما هو أكثر مما يرد منه، فلهذا اختلف فيه اجتهاد الناس، وتنازعوا فيه».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موضع آخر:

وكلام أكثر الناس في هذا الباب ونحوه على درجات متفاوتة: فيحمد كلام الرجل بالنسبة إلى من دونه، وأن كان مذموماً بالنسبة إلى من فوقه، إذ الإيمان يتفاضل، وكل له من الإيمان بقدر ما حصل له منه، ولهذا كان أبو حامد مع ما يوجد في كلامه من الرد على الفلاسفة، وتكفيره لهم، وتعظيمه النبوة وغير ذلك، ومع ما يوجد فيه من أشياء صحيحة حسنة، بل عظيمة القدر نافعة، يوجد في بعض كلامه مادة فلسفية وأمور أضيفت إليه توافق أصول الفلاسفة الفاسدة المخالفة للنبوة، بل المخالفة لصريح العقل».

لقد تملكت ابن تيمية روح النقد والثورة على ما في عصره من عقائد مخالفة لمذهبه السلفي، فانبري لنقدها والرد عليها في كثير من الإفاضة والتحليل.

ولقد صرف ابن تيمية كده إلى هذه الناحية النقدية حتى كانت أعظم

نواحيه على الإطلاق، وحتى يمكن القول بأنه أكبر نقاده في الإسلام.

وهذا الجانب عنده رحمه الله لا تتسع له الصفحات القليلة في هذه العجالة السريعة، وإنما تتبع ذلك يكون في موسوعة تؤلف عن آرائه ونقده، وتصدر عن مؤسسة تهتم بتفكيره وفكره، وتبرمج على الحاسوب علمه ومؤلفاته فلعل وعسى.

الخــــاتمة

لقـد امتـلأ الزمان بالأئمة الاعلام، ووجد في فترات تاريخنا جملة من المجددين فكانوا علامات هدى تهدى السائرين بفيض رحمة الله وفضله، تنير سير السالكين إلى دلائل هديه جل وعلا.

لقـد وجـد ابن تيمية رحمه الله في خضم الصراع، فكان رجل مرحلة في علمه وجهاده وقوة حجته، وقدرته الفائقة التي بز فيها أقرانه وأنداده، فإذا بدليل عظمته وبيان عصاميته بارز ظاهر في جهده وعلمه وانجازه.

وإذا كانت موازين التعامل قد تجاوز بها أصحابها منهج العدل والانصاف عند الحـديث عنـه، والتعـامـل معه ومع علمه وفكره وقوله من قبل معارضيه ومنتقدي طريقه، فذلك ليس خطوءه، ولكنه خطأ عدم العدل، أو بعد الانصاف الذى عومل به.

هذا البحث جلّى صـورة من جهده، وأبان اهتماماً من اهتماماته في لمحات سريعة، وايماءات قليلة عن مسائل الحديث عنده، وجهده في هذا العلم، ومما لا شك فيه أنها نظرات فاحص، وخبرة مطلع لم يتعصب لصاحب الترجمة، بل حاول أن يبين بعض علم وفضل واهتمامات هذا العلم الشامخ ابن تيمية.

ولقد كان ابن تيمية عالماً	يقتدى به طلاب العلم
وكـان ابــن تيمية داعيــاً	يقتــدي بــه طــلاب الدعــوة
وكـان ابن تيمية مجاهــداً	يقتدي به طلاب الشهادة في سبيل الله
وكـــان ابن تيمية امـــاماً	يقتدي به دعاة واجعلنا للمتقين اماماً

وكـان ابن تيمية مهتـماً بالحـديث ومنهجه، يقتدي به دعاة الانصاف والمهتمين بالدراسات الحديثة.

إذا أنصف المنصفون فسيجدون فضلاً وعلماً، مع أن كلا يؤخذ من قوله ويترك إلا محمداً صلى الله عليه وسلم . . والحمد لله ربّ العالمين.

المـــــــراجع

(١) القرآن الكريم .

(٢) ابن تيمية/ لأبي زهرة ـ ط / دار الفكر العربي .

(٣) ابن تيمية / د. محمد يوسف موسى ـ ط / لبنان ـ العصر الحديث .

(٤) ابن تيمية بطل الاصلاح الدينى ـ محمود مهدي الاستانبولى ـ ط / بيروت ـ الثالثة .

(٥) ابن تيمية وجهوده في التفسير ـ إبراهيم خليل بركة ـ ط / المكتب الإسلامي .

(٦) ابن تيمية وموقفه من أهم الفرق والديانات في عصره ـ د. محمد حربي ـ ط / لبنان عالم الكتب .

(٧) الإمام ابن تيمية ومواقفه من قضية التأويل ـ محمد السيد الجليند ـ ط / المكتبة العصرية بيروت ١٩٧٣م .

(٨) أصول الفقه وابن تيمية ـ د . صالح بن عبد العزيز آل منصور. ط/ الأولى ١٩٨٠م .

(٩) الأعلام ـ لخير الدين الزركلي ـ ط / دار العلم للملايين ـ بيروت .

(١٠) أعلام التربية في تاريخ الإسلام ـ ابن تيمية ـ عبد الرحمن النحلاوى ـ ط/ دار الفكر دمشق ١٩٨٦م .

(١١) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية ـ الحافظ عمر بن على البزار ـ ط/ المكتب الإسلامي ـ لبنان ـ تحقيق زهير الشاويش .

(١٢) باني النهضة الإسلامية ابن تيمية السلفي ـ محمد خليل هراس ـ ط/ دار الكتب العلمية ـ لبنان .

(١٣) البداية والنهاية ـ ابن كثير القرشي ـ ط/ لبنان .

(١٤) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية / لابن تيمية ط / الرياض الأولى .

(١٥) بيان موافقة صريح المنقول لصحيح المعقول لابن تيمية ـ حاشية مع منهاج

السنة البدر الطالع ـ الشوكاني محمد بن علي ـ ط/ دار المعرفة ـ لبنان.
(١٦) تاريخ ابن الوردي ـ ط/ الثانية ـ المطبعة الحيدرية بالنجف.
(١٧) تذكرة الحفاظ للامام أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ـ تصوير دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
(١٨) الجامع الصحيح ـ لأبي عيسى محمد بن عيسى بن مناورة الترمذي ط/ دار إحيار التراث/ بيروت.
(١٩) جلاء العينين في محاكمة الأحمد بن ـ السيد شعبان خير الدين الألوسي ط/ المدني ـ مصر ١٩٨١م.
(٢٠) حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ الشيخ محمد بهجة البيطار ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت.
(٢١) حلية الأولياء وطبقات الاصفياء لأبن نعيم. دار الكتب العلمية ـ بيروت.
(٢٢) خمسة من أعلام الفكر الاسلامى ـ مصطفى عبد الرازق ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان.
(٢٣) الدارس في تاريخ المدارس ـ لأبي المفاخر عبد القادر بن محمد النعيمى ـ تحقيق خضر الحسينى عضو المجمع العلمى ـ ط/ دمشق ١٢٦٧هـ.
(٢٤) دائرة المعارف الإسلامية ـ إبراهيم زكى خورشيد وغيره ـ ط/ الشعب مصر ١٩٦٩م.
(٢٥) درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ـ ابن تيمية ـ تحقيق محمد رشاد سالم ـ دار الكنوز الأدبية / لبنان.
(٢٦) الدراري المضيئة شرح الدرر البهية ـ محمد بن على الشوكانى ـ تصوير دار المعرفة لبنان.
(٢٧) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ـ ابن حجر العسقلانى ـ ط/ دار الكتب الحديثة مصر ـ ونسخة أخرى ط/ الهند عام ١٢٤٨هـ الأولى.
(٢٨) ذيل طبقات الحنابلة ـ لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلى ـ دار المعرفة لبنان.

(٢٩) رجال الفكر والدعوة ـ الجزء الثاني ـ أبو الحسن الندوي ـ ط/ دار القلم ـ الكويت.
(٣٠) الرد الوافر على من زعم أن من أطلق على ابن تيمية شيخ الإسلام كافر ـ ابن ناصر الدين الدمشقى ـ تحقيق زهير الشاوين ـ ط/ المكتب الإسلامي بيروت ـ ١٩٨١م.
(٣١) رسائل من السجن / جمع محمد العبدة ـ ط ـ دار طيبة ـ الرياض ـ ١٩٨٣م.
(٣٢) رفع الملام عن الأئمة الأعلام ـ ابن تيمية ـ ط/ المكتب الإسلامي ـ بيروت.
(٣٣) سنن أبى داود للإمـام أبي داود سليمان بن الأشعث السجستانى ـ ط/ دار الحديث بيروت.
(٣٤) سير أعلام النبلاء ـ الحافظ محمد بن أحمد الذهبي ـ ط/ مؤسسة الرسالة لبنان ١٩٨٣م.
(٣٥) الشهادة الزكية في ثناء الأئمة على ابن تيمية ـ مرعى بن يوسف الكرى الحنبلى ـ ط بيروت. ١٩٨٥م الثانية.
(٣٦) شذرات الذهب في أخبار من ذهب ـ لابن العماد الحنبلى. تصوير دار المسيرة/ بيروت.
(٣٧) شيخ الإسلام ابن تيمية أمام السيف والقلم ـ سعد صادق محمد ـ ط/ دار اللواء الرياض ١٩٨٠.
(٣٨) شيخ الإسلام ابن تيمية ـ جهادة ـ دعوته ـ عقيدته / الشسخ أحمد القطان ومحمد الزين ـ ط/ ندس ـ الكويت ١٩٨٦م.
(٣٩) شيخ الإسلام ابن تيمية سيرته وأخباره عند المؤرخين لصلاح الدين المنجد ـ ط/ دار الكتاب الجديد ـ لبنان.
(٤٠) صحيح البخـاري للإمام أبي عبد الله محمد بن أسماعيل البخاري الجعفى /ترتيب د. مصطفى ديب البغا ـ ط/ مؤسسة علوم القرآن.
(٤١) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ـ بترتيب محمد فؤاد عبد الباقى ـ ط/ دار إحياء التراث العربي ـ ١٩٥٩م.

(٤٢) طبقات القراء للإمام محمد بن محمد الجزرى ـ نشر/ ج، برجستراسر ـ تصوير دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٨٠م.
(٤٣) طبقات المفسرين ـ السيوطي جلال الدين ـ بيروت.
(٤٤) العقود الدرية من مناقب ابن تيمية ـ ابن عبد الهادي ـ تحقيق محمد حامد الفقي ط/ دار الكتاب العربي ـ لبنان.
(٤٥) الفتاوى الكبرى / ابن تيمية ـ دار المعرفة ـ بيروت ـ لبنان.
(٤٦) فوات الوفيات لابن شاكر الكتمى ـ تحقيق د. إحسان عباس ـ ط/ دار الثقافة العربية ـ بيروت.
(٤٧) فهرس الفهارس ـ الكناني ـ ط / الأولى.
(٤٨) الكامل في التاريخ لابن الأثير ـ ط/ دار صادر بيروت ١٩١٦م.
(٤٩) كشف الخفاء ومزيل الألباس« عما انتهى من الأحاديث على ألسنة الناس ـ اسماعيل بن محمد العجلونى ـ ط/ دار إحياء التراث ـ بيروت.
(٥٠) المجددون في الإسلام من القرن الأول حتى القرن الرابع عشر ـ عبد المتعال الصعيدى ـ ط/ المطبعة النموذجية ـ مصر.
(٥١) مجموعة الرسائل الكبرى ـ لابن تيمية ـ دار إحياء التراث العربي ـ لبنان.
(٥٢) مجموع الفتاوي لابن تيمية ـ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن القاسم العاصمي النجدى ـ ط/ الأولى ١٣٨٢هـ ـ الرياض.
(٥٣) مختصر طبقات الحنابلة ـ جمع محمد جميل الشطى ـ ط/ مطبعة الترقي ـ دمشق ١٣٣٩هـ.
(٥٤) مرآة الجنان ـ اليافعى عبد الله بن اسعد / ط ـ الهند.
(٥٥) مسند أبى يعلى.
(٥٦) معا على طريق الدعوة ـ محمد عبد الحليم حامد ـ ط/ مصر ـ دار التوزيع والنشر الإسلامي ١٩٨٩م.
(٥٧) معجم المؤلفين ـ لعمر كحالة ـ ط/ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.
(٥٨) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ـ محمد عبد الرحمن السخاوى ـ ط/ دار الكتب العلمية ١٩٧٩.

(٥٩) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ـ تصوير دار الكتب العلمية ـ بيروت .

(٦٠) موطأ مالك ، مالك بن أنس ـ بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ١٩٨٥م .

(٦١) ناحية من حياة شيخ الإسلام ابن تيمية ـ إبراهيم أحمد الغياني ـ ط/ السلفية مصر ١٩٦٥م .

(٦٢) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ لابن تغرى بردى الأتابكى ـ نسخة مصورة من طبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣٠م .

(٦٣) نوابغ الإسلام ـ أنور الجندي ـ ط/ دار الاعتصام ـ القاهرة ـ بدون تاريخ .

(٦٤) الوافي بالوفيات ـ لصلاح الدين خليل أيبك الصفدي ـ ط/ استنبول وزارة المعارف ١٩٣١م .

(٦٥) وفيات الأعيان وأنباء أهل الزمان لأبي العباس أحمد بن محمد بن خلكان ط/ السعادة ـ مصر ـ الأولى ١٩٤٨ .